الاثنين 4/3/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

هذا هو الدرس الثاني في تفسير سورة الكهف.

وسورة الكهف سورة مكية، وقد جاء حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ)). [مسلم عن أبي الدرداء]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)).

[الحاكم والبيهقي والدارمي]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 1-5]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ .

من صفة أمة النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يحمدون الله على كل حال.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)). [الطبراني]

فلنحمد الله الذي أنزل علينا القرآن، فهذا فضل كبير من الله تعالى فقد خاطبنا جل وعلا وهو الله جل وعلا ونحن لا شيء.

الكتاب: اسم من أسماء القرآن الكريم، مصدر من الكتابة.

القرآن: هو مصدر من القراءة، فنقول قرأ قراءة وقرآناً.

هناك إشارة، ودليل واضح على أنك لا تستطيع أن تسلك درب هذا الدين، وأن تمشي على الصراط المستقيم، تدخل مدرسة الإيمان إلا إذا تعلمت.

كتاب هذا الدين هو القرآن الكريم كتابة وقراءة، والمراد منه القراءة والكتابة بما يرضي الله تعالى.

فكم من إنسان يقرأ قراءات يغضب بها رب العالمين.

وكم من شاب يدخل إلى مواقع الإنترنت ليقرأ أو يشاهد فيها أشياء من الذلة والمعصية والسوء والهبوط الشيء الكثير.

وكم من فتاة تكتب بيديها كتابات لا ترضي ديناً ولا عقلاً ولا شرفاً ولا أخلاقاً.

فكل ما نفعك أو نفع من حولك ونويت به تقرباً إلى الله تعالى فهي كتابة وقراءة محمودة.

أول كلمة نزلت من القرآن الكريم ﴿اقْرَأْ﴾ وقد نزلت على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب وإني لأرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كم بذل من الجهد والتعب حتى حَوَّل الناس الذين حوله من أناس أميين إلى قُرَّاءٍ وكاتبين.

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: **(مكثت على سورة البقرة ثمان سنوات أتعلمها)**.

كم حجم الجهد الذي بذله سيدنا ابن عمر والذي بذله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والجهد والذي بذله المعلِّمين الذين كان يعينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

فلا بد في هذا الدين من علم، ولا يمكن أن تصل إلى الله تعالى إلا بالعلم.

قال الصالحون: **(ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه)**؛ لأن الله عليم فكيف للعليم أن يوالي الجاهل!

هناك بعض الأحكام المرتبطة بك مباشرة من زواج وطلاق وبيع وشراء وصلاة وصوم وحج ومرافعات قضائية... فإن كنت جاهلاً فسيصعب عليك سلوك طريق الولاية.

لا يعقل أن يكون شاب يريد أن يتزوج -وقد سلك طريقاً خاطئاً- ثم يقول: لم أكن أعلم أن تواصلي مع الفتاة قبل العقد لا يجوز، فهذا الجهل أورث بعداً عن الله عز وجل.

لا يمكن أن يكون تاجراً لا يعلم بعض الأحكام الشرعية في بيعه وشرائه فتراه يقع في الحرام وهو لا يعلم، كأن يُضَمِّنَ أجيره بكل خطئ ارتكبه مع أن القاعدة الشرعية تقول: **الأجير أمين لا يُضَمَّن إذا لم يتعد أو يقصر**، كما لا يجوز لي أن أحمله أي جزأ من المبلغ، أما إذا كان هناك تقصير واعتداء فيغرم بمقدار التقصير والاعتداء.

فمن فعل ذلك فقد قطع على نفسه درب الولاية والسبب هو الجهل بما يجب علينا أن نعلمه.

كل واحد منا يطلب منه أن يتعلم أحكام الوضوء؛ وأحكام الصلاة، وكل شاب يريد الزواج يطلب منه أحكام الزواج والطلاق.

إنني أدعو الناس إلى تعلم أحكام الزواج والطلاق من عشر سنين ولم يمر معي إلا رجلين يريدان السؤال عن الطلاق قبل الطلاق مع العلم أن الأصل في الشرع هو أن لا يطلق إنسان حتى يسأل من يثق بعقله ودينه كما يسأل للزواج قبل الزواج.

يقول الإمام الجنيد: (**الطرق كلها مسدودة على الخلائق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم**).

ولكي أعلم ما يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلي العلم ولو على أقل تقدير بالعلم الذي هو فرض عين على كل المسلم.

يوجد في الأمم المتحدة خبراء بأعلى مراتب العلم من كافة بلاد العالم وقد شكلوا مع بعضهم لجاناً فبعض اللجان تكون مخصصة لحقوق المرأة وبعضهم لقضايا حقوق الطفل... فتجد قضية مطروحة فيها اعوجاج.

ففي مسألة الإجهاض مثلاً يقول المسؤولون عن حقوق المرأة: إن هذا الأمر من حق المرأة ويجب على كل القوانين في الدول أن لا تتدخل في هذه المسألة، فهي الأم وهذا جنينها وهذا جسمها، فأصدروا قراراً أن الإجهاض من حق المرأة.

لكن أعضاء حقوق الطفل قالوا رداً عليهم: هذا الطفل له حق في الحياة فلا يجوز الإجهاض.

ويحصل لهذا الأمر مشادة علمية وفكرية وحياتية واجتماعية إلا أن القرآن الكريم لا ترى فيه عوج.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾. [الزمر: 27-28]

اطلعت مرة على مشروع لقانون مؤلف من ثمانين ورقة فأخرجت في ورقة واحدة اثنان وعشرين خطأ لغوياً.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ . [النساء: 82]

ترى في البلد الواحد أصحاب التشريع الضريبي لهم رأي وأصحاب الضمان الاجتماعي لهم رأي منافي ومعاكس ومختلف.

قال العلماء: (**العِوج: هو ما لا تراه العين، والعَوج: ما يبصر بالعين**).

فالقضيب إذا كان ملتوياً اسمه عِوج وكذلك الخط إذا كان منحنياً.

أما العَوَج فيكون في التفكير وفي المبادئ.

فلا التواء في كتاب الإسلام بل هو كتاب يشد بعضه بعضاً، لا اعوجاج فيه.

وقال بعض اللغويين: **العِوج والعَوج بمعنى واحد.**

﴿ قَيِّمًا ﴾ : أي مستقيماً.

قال العلماء: ما الفرق بين العِوج (أي ليس منحنياً)، والقَيِّم (أي المستقيم) وهما بنفس المعنى؟!

فقالوا: **هذا الأمر للتأكيد؛ لأنك أحياناً ترى طريقاً لا اعوجاج فيه، لكن مسار الطريق فيه عوج، فالقرآن الكريم يقول لك: هذا القرآن لا عوج فيه إطلاقاً.**

وقيل: ﴿ قَيِّمًا ﴾ **أي مهيمناً على الكتب السابقة.**

﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ أي عذاباً شديداً من عند الله عز وجل.

﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ .

هذا الكتاب فيه إنذار للكافرين وبشارة للمؤمنين.

للأسف ترى عدداً من المسلمين قد حولوا القرآن الكريم إلى كتاب للتبرك، فتراه يفتح القرآن الكريم ويقرأ منه لأجل البركة لا لأجل العمل.

وترى بعض المسلمين لا يقرأ بالقرآن بل يحمله فقط لأجل البركة.

وبعض المسلمين حولوا القرآن الكريم إلى دواء فقط فتراه يسأل عن سورة لألم الرأس، أو لتيسير الولادة، أو للزواج... فصحيح أن الله يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾، [الإسراء: 82] إلا أن هذا الأمر لا يعني أن نحوله فقط لألم الرأس والزواج... لأن القرآن جاء التعريف فيه في بدايته بأنه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾، [البقرة: 2] فهو كتاب هداية ودليل إرشاد.

ما هي قمم الحياة الخمس؟

قمم الحياة هي: (العلم، والجاه، والمال، والصحة، والأسرة) فإذا ملك أحدنا هذه الخمسة بمستوى عال جداً فقد ملك الدنيا.

التقيت بشخص له من العمر سبعون سنة وهو أستاذ في كلية الطب في الجامعات الأمريكية من أربعين سنة، في وقت كان من يحمل الابتدائية له قيمة عالية.

ولمكانته العلمية والطبية فإن معظم أصحاب القرار في البلد يتعالجون لديه، فكلمته في البلد لا تكرر مرتين.

وضعه المعاشي كان جيداً جداً.

صحته وهو في عمر السبعين كانت ممتازة فلا يحتاج لطبيب أو دواء.

ابنه أستاذ في كلية الطب في أمريكا.

جلسنا في بيت أحد الإخوة مجلس ذكر وقيام ليل ثم أقمنا مجلس علم، وعندما انتهينا من المجلس قمنا مع صاحب الدار إلى مأدبة طعام فلما أردنا القيام وضع يده على يدي وقال لي: ابق قليلاً، فجلست والتفت عليه فوجدته يبكي، ثم قال لي: يا أستاذ لقد ضَيَّعْتُ حياتي، فلما قالها شعرت بصدمة كبيرة!! ثم قال: إنَّ كل ما وصلت إليه، كان وأنا بعيد عن درب الله تعالى، فهل هناك طريق لأصل فيه إلى الله؟ فقلت له: طريق الله مفتوح وهو لمن صدق وليس لم سبق، ثم دعوته للإقبال على الله والتوبة وقد مشى بهذا الطريق.

وبعد هذه الجلسة بأسبوعين أصيب بأزمة قلبية، وبعد أسبوعين من الأزمة أخبرت بوفاته.

حزنت من كل قلبي أن رجلاً يمشي سبعين سنة من غير كتاب ثم اكتشف أن حياته كلها كانت خطأ.

يا أيها الشباب الذين ما زلتم في أول أعماركم قد أنزل الله علينا كتاباً فإياكم أن تسيروا لسنوات ثم تكتشفون خطأكم.

من الصحيح أن الله يقبلك وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، لكنك بذلك تكون قد ضيعت سبعين سنة؛ لذلك من رحمة الله أن أنزل علينا الكتاب وجعله هداية.

افتح دليل أعمالك فإن لم تكن تسير بالاتجاه الصحيح فإياك أن تتم المسير؛ لأنك تسير باتجاه خاطئ الكتاب.

﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ .

فليبحث كل منا عن مجلس علم ومُعلِّم ليعلم ما أمر الله وما نهى عنه، وإن كنت قد أخطأت وزَلَّت قدمك فارجع واجبر كسرك وارفع عيبك ونقصك وارجع إلى الطريق المستقيم.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.